

# بروفسور علي عثمان محمد صالح رائد علم الآثار الوطني في السودان

قسم الآثار- كلية الآداب- جامعة الخرطوم

د. محمد البدري سليمان بشير

## مستخلص:

يهدف المقال الى توثيق أحد الجوانب المعرفية والفكرية للبروفيسور علي عثمان محمد صالح بالقاء الضوء على تجربة علم الآثار الوطني في السودان، مفهومه، مناهجه، وتطبيقاته الميدانية. ويعرف علم الآثار الوطني بأنه مجموعة أفكار ومناهج، أسس وتجارب حقلية لدراسة الآثار السودانية وتفسيرها، وهي مدرسة فكرية تميزت باستيعابها لكافة أطروحات المدارس الأجنبية التي عملت في السودان خلال قرنين من الزمان. بجانب ذلك تتطرق الدراسة الى الجوانب التطبيقية لفكرة علم الآثار الوطني من خلال ثلاثة مشاريع بحثية هي مشروع المسح الآثاري والتراثي لمنطقة المحس، المشروع الوطني المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، ومشروع آثار مرووي الكبرى، ويستعرض البحث استراتيجيات العمل الحقلية وأهم النتائج العلمية لتلك المشروعات.

## Abstract:

The aim of this study is to document one of the cognitive and intellectual aspects of Professor Ali Osman Mohamed Saleh by highlighting national archaeology in Sudan, its concepts, methods and applications in the field. National archaeology is defined as a set of ideas and methods, practises and field experiences for the study and interpretation of Sudanese archaeology .It is an intellectual school characterised by having adopted all the theories and practises of foreign missions that have worked in Sudan over the last two centuries .In addition, the article looks at the practical aspects of the idea of national archaeology through three field

projects: the Mahas Survey Project, the Archaeological National Joint Project to the 5th Cataract Region, and the Archaeology of Greater Meroe. The study gives an overview of the fieldwork strategies and the main scientific results of these projects.

## مقدمة:

مرت عمليات الكشف الأثري في السودان بالعديد من المراحل، بدءاً بمرحلة المؤرخين الكلاسيكيين، ثم أعقبها مرحلة الرحالة المحدثين، ثم مرحلة الكشف والبحوث الأثرية المنظمة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وقد اختلفت منهجية وطرق ووسائل البحث الأثري في السودان وفقاً لاختلاف الحقب الزمنية وما طرأ من تطورات على علم الآثار من جهة أخرى<sup>(1)</sup>. وقد شهد الكثير من وادي النيل النوبي دراسة أثرية خلال القرن العشرين كنتيجة لبناء السدود المتتالية على النيل في أسوان(2) والتي كان لها الأثر البارز في رسم الملامح الأثرية والثقافية العامة للسودان القديم، وقد تمت معظم هذه الدراسات وفق رؤية مدرسة علم المصريين والتي بنيت فرضياتها لدراسة الحضارة السودانية على أنها امتداد لمصر مما أدى للعديد من القصور فيما يتعلق بفهم وتفسير المعطيات الأثرية والثقافية بتلك الفترة، ودون ذلك تفسيرات عالم الآثار الأمريكي جورج رايزنر لأصول أسرة نبتة الملكية المدفونة بمنطقة الكرو، وقد وجهت هذه التفسيرات الخاطئة الدراسات السودانية القديمة لدى طويل من الزمن وألقت بظلالها على الفهم الثقافي العام. ومن ذلك تنال فكرة علم الآثار الوطني عبقريتها بطرحها لحلول وتفسيرات مبنية على الفهم المحلي للآثار والثقافة السودانية. وفيما يلي تناقش الورقة فكرة علم الآثار الوطني وتطبيقاته الميدانية.

## أولاً: الخلفية الأكاديمية لرائد فكرة علم الآثار الوطني:

تخرج البروفيسور علي عثمان محمد صالح بدرجة بكالوريوس الشرف في علم الآثار والتاريخ، المرتبة الأولى امتياز من قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الخرطوم عام 1970م. وتحصل على درجة ماجستير الآداب في علم الآثار، من كلية العلوم الاجتماعية- بجامعة كالقري - ألبرتا - كندا عام 1973م، ومن ثم تحصل على درجة دكتوراه الفلسفة في علم الدراسات الشرقية وعلم الآثار التاريخي من كلية الدراسات الشرقية وكلية كرايست - جامعة كمبرج - بالملكة

المتحدة 1978م، وعاد بعدها للعمل بقسم الآثار متدرجا في وظائفه الأكاديمية من مساعد تدريس 1970-1978م وحتى بروفييسور عام 2000م. خلال هذه الفترة تركزت مجالات بحثه وتدريسه فيآثار وتاريخ ثقافات وحضارات افريقيا والشرق الأدنى، العمل الميداني الآثاري بكل فروعته وتخصصاته، تقنيات وتطبيقات ادارة المصادر الاثارية والثقافية، بجانب السياحة الاثارية، وآثار وتاريخ ولغات وتراث الحضارة النوبية.

أسهم اختلاف المدارس الفكرية التي تدرج عليها البروفيسور على عثمان مابين كندا وانجلترا، واهتمامه بالفكر والثقافة القومية، اضافة الى خلفيته النوبية بشكل كبير في تكوين شخصيته العلمية التي ظهرت جليا في فكرة علم الآثار الوطني والتي سنناقشها بشئ من التفصيل.

## ثانياً: علم الآثار الوطني: مفهومه وعناصره الأساسية:

يعني علم الآثار الوطني مجموعة أفكار ومناهج، أسس وتجارب حقلية لدراسة الآثار السودانية وتفسيرها، وهي مدرسة فكرية تميزت باستيعابها لكافة أطروحات المدارس الأجنبية التي عملت في السودان خلال قرنين من الزمان. ومن المعلوم أنه لكل مرحلة تاريخية مفاهيم وأفكار جديدة تتغير بمرور الزمان، وبعد أن كانت مناهج المدارس القديمة بمثابة الدليل الأوحد لتفسير المعطيات الأثرية في السودان وفق مناهج غربية أضحت هناك حوجة ماسة لإيجاد بعض التفسيرات المنطقية للظواهر الثقافية السودانية والتي لم تتناولها تلك المدارس او غضت الطرف عنها، وتشمل تلك التفسيرات مجمل الثقافات القديمة وتداخلها وحدودها، حيث اصبح تقسيم التاريخ الثقافي السوداني والآثاري والذي صنف بواسطة هذه المدارس يحمل الكثير من أوجه القصور. لذلك كان لابد من وجود آلية لدراسة الآثار والثقافة السودانية وتفسير الظاهرة السودانية برؤية وطنية بعيدا عن المؤثرات الأجنبية لدراسة تلك الظاهرة وتفسيرها.

تم تجسيد المدرسة الأثرية السودانية لأول مرة في مقال كتبه البروفيسور علي عثمان بعنوان «Archaeology in the Sudan» في عام 1981م لدى مؤتمر الدراسات الأفريقية نحو الثمانينات والذي نظمته الجمعية الكندية<sup>(3)</sup>. ومقال آخر نشره عام 1993م بعنوان (Nationalist Archaeology The Case of the Sudan)<sup>(4)</sup>، تناول المقال الأول المدارس الأثرية في السودان والتي تم حصرها في

مدرستين هما علم المصريات في الشمال ومدرسة ما قبل التاريخ في الوسط، ذلك بجانب وجود تمييز جديد تم تجسيده في مدرسة التراث التي تزعمها الطيب محمد الطيب في برنامجه التلفزيوني «صور شعبية»، وهو يمثل المدرسة الفلكلورية لعرض وتفسير التراث الثقافي السوداني. وقد كانت الورقة محاولة للنظر في حاضر علم الآثار بالسودان ورسم خارطته المستقبلية بالتركيز على أصول ونمو علم الآثار السوداني، وقد شمل ذلك مراجعة جل ما كتب عن السودان القديم، تاريخه، ثقافته، وحضاراته في محاولة للوصول الى مسار علمي يمكن من بناء مدرسة آثارية سودانية لفهم وتوثيق آثار السودان وثقافته بمعزل عن مدرسة علم المصريات. وقد أورد المقال بجانب ذلك عددا من المميزات الرئيسية لعلم الآثار في السودان من خلال ملاحظات الأصل والنمو، يمكن تلخيصها في الآتي:

أ. يعتبر علم آثار النوبة (Nobyology) جزءا من علم الآثار الإنقاضي -نسبة لقيام سد أسوان وبرامج تعليته المتكررة التي أسفرت عن قيام السد العالي- والذي تميز بالنهج الآثاري الشمولي الذي أصبح هدف السلطات المصرية والسودانية حينها، وقد كان ذلك ممكناً بسبب توفر الأموال الكافية والتقنيات المناسبة، خاصة في الجزء الثاني من العمل.

ب. تمثلت النسبة العالية من المواقع التي تم انقاذها ودراستها في تلك الفترة بالمواقع الفرعونية والمواقع الصروحية البارزة، وقد قاد هذا الى تطور مدرسة علم مصريات قوية موجهة في تفسير المعطيات الآثارية والثقافية، لذلك كان محرك البحث والتفسير الأساسي هو النظر الى مصر باعتبارها حضارة عظيمة وأن السودان جزء منها او تابع لها.

ت. أثر النمو في المدارس المختلفة لترجمة وتفسير الثقافة النوبية سلباً على نمو وتطور علم الآثار الوطني بالسودان، حيث يميل العديد من علماء وطلاب علم الآثار في السودان الى نسيان أن التفسيرات المرسله مستمدة من البيانات التي تم جمعها من النوبة وليس من كل السودان.

ث. بنى علم الآثار النوبي على دراسة المباني الصروحية، وهذا يعني توافق التقنيات المستخدمة في النوبة آنذاك على هذا النوع من الآثار فقط.

أما فيما يتعلق بالنشاط الأثاري بوسط السودان فقد أورد المقال أنه قد تطور بخط مختلف عما وجد بمنطقة النوبة بناء على اعتبارات عديدة أهمها:

أ. لم يعطى هذا الإقليم فرصاً كافية للعمل الأثاري من قبل المعاهد والمؤسسات الأجنبية المختلفة والتي ركزت في الأساس على مصر والآثار المرتبطة بحضاراتها، كما أنه لا توجد بهذا الإقليم نصب تذكارية وحصون وقلاع كما وجد بإقليم النوبة.

ب. تعلق علم الآثار في وسط السودان بالجانب الحكومي منذ الفترة الإستعمارية حيث أضحت تحت يد السلطة الحكومية العمومية منذ عهد السير كتشنر وونجت باشا بين عامي 1898-1905م، اللذان كان لهما اهتمام بالجانب الأثاري، فقد تمت دعوة وتشجيع علماء ومتخصصين لدراسة حضارات البلاد كما تم تعيين مفتشاً للآثار وإدارة للشؤون الأثرية بمساعدة مدير التعليم. وقد صاحبت هذه المرحلة العديد من المشاكل والتي كان من أبرزها أسماء الأماكن وتفسيراتها حيث أنه قد تم اخذ معظم الخرائط من مصلحة المساحة التي تم تأسيسها في مطلع الأربعينيات وقد تغيرت تضاريس واسماء العديد من المواقع والمواضع حينها. شكل اتساع المساحات والبعد الجغرافي مشكلة أساسية أمام إجراء المسح الأثاري الشامل للسودان. وقد كان من أبرز النواقص افتقار علم الآثار في السودان حينها الى نظام معياري قياسي لاختبار وتصنيف وتعيين المواقع، حيث لم يغطي المسح الأثاري العام كل البلاد وعادة ما يتم تعيين المواقع حسب أسماء الأماكن التي وجدت بها.

العناصر الأساسية لعلم الآثار الوطني «المدرسة الأثرية السودانية»:

شكل تأسيس قسم الآثار جامعة الخرطوم والذي نشأ في عام 1964م بناءً على تقرير رفعتة لجنة مكلفة من مجلس كلية الآداب أولى خطوات تأسيس ما يعرف بعلم الآثار الوطني بالبلاد. وبدأ القسم بالدراسات العليا، ونظم دبلوماً عالياً في علم المصريات أشرف عليه البروفيسور مصطفى أمير من مصر. وقد تخرجت في هذا الدبلوم دفعة واحدة كان عدد طلابها أربعة من خريجي الآداب والأقتصاد. كان المرحوم عكاشة محمد علي أحد هؤلاء الخريجين، تدرج في الوظائف في مصلحة الآثار حتى أصبح مديراً للمتحف القومي ونائباً لمدير

عام المصلحة. وركز القسم اهتمامه بعد ذلك على تدريس علم الآثار لطلاب الامتياز في قسم التاريخ بغرض تخريج أساتذة المستقبل. وكانت الدفعة الاولى عام 1970م والتي ضمت تسعة طلاب ثم تعيين اثنان منهم في قسم الآثار هما علي عثمان محمد صالح وعباس سيد احمد محمد علي. وخلال تلك السنوات شارك القسم في حفريات مدينة مروى القديمة بالبحر الأحمر عندما كان البروفيسور بيتر شيني (P.L. Shinnie) رئيساً لقسم الآثار في الفترة من عام 1965 الى عام 1970م كما كان مديراً لحفريات مروى. ويعتبر مشروع حفريات مدينة مروى أول مشروع بحثي متكامل في مجال الآثار تقوم به مؤسسة جامعية سودانية بعد الحفريات المحدودة التي قام بها أوليفر مايرس (Myers. O. H). أستاذ التاريخ القديم بكلية غردون عام 1947م بموقع عبكة بالقرب من وادي حلفا. وخلال الثلاثين سنة الماضية ساهم قسم الآثار كثيرا سواء في برنامج العمل الميداني البحثي والمشاريع الميدانية أو في تخريج عدد كبير من الطلاب شغل الكثيرون منهم مناصب في مجال الآثار ومجالات أخرى. كما نفذ القسم العديد من البحوث الأثرية الميدانية في كل من مروى القديمة ومنطقة جنوب وشمال أمدردمان، إضافة الى العمل المشترك مع الجامعات المحلية في الشلال الخامس، والجامعات الأجنبية في مناطق النيل الأبيض وعطبرة والبطانة والخرطوم. كما جدد قسم الآثار رخصة العمل الأثري بمدينة مروى القديمة عام 1999م بعد ان وقع اتفاقية مع متحف اونتاريو الكندي (Royal Ontario Museum. ROM) للقيام بمشروع تنقيب وحماية الموقع الأثري، وذلك بعد توقف العمل مع جامعة كالقري الكندية في بداية السبعينات ومع جامعة ميونخ عام 1994م. وللقسم مشاريع أخرى مشتركة في منطقة البحر الأحمر مع المعهد البريطاني بشرق افريقيا. كما يعد القسم لبرنامج حقلي مشترك في منقطة المحس مع جامعات و متاحف عالمية لانقاذ الرسومات الجدارية والكتابة النوبية على جدران المباني الأثرية في المنطقة. كذلك تحصل قسم الآثار على رخصة عمل جديدة في العام 2004 لمسح وتنقيب المنطقة الممتدة من المدينة الملكية وحتى المطمر ولتكون منطقة بحث وعمل ميداني ودراسات مستقبلية لقسم الآثار وطلابه. ومن هذا السرد يتضح الدور الذي قام به قسم الآثار، ولإزالة، في إدارة البحوث الميدانية الوطنية الخالصة في السودان. الان «مشروع المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس» هو دون شك المشروع الوطني الرائد. ثالثاً: الدراسة التطبيقية لفكرة المدرسة الأثرية الوطنية:

تجسدت الدراسة التطبيقية للمحتوى النظري للمدرسة الأثرية السودانية في العديد من المشروعات التي تم تنظيمها بواسطة قسم الآثار والتي من أهمها مشروع المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس، المشروع الوطني الأثري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، ومشروع دراسات آثار مروى الكبرى. سيتناول البحث مشروع المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس بشكل أكثر تفصيلاً وذلك باعتبار أنه رائد المشاريع الوطنية بالبلاد والذي أسفر عن نتائج مهمة فيما يتعلق بالآثار السودانية، اكتشافها، طرق دراستها وتفسيرها كما أسهم في رفد البلاد بعدد مقدر من الكوادر المؤهلة علمياً من حملة الدرجات العليا.

## (1) مشروع المسح الأثري والتنقيب الانقاضي واللغة والاستيطان والتاريخ لمنطقة المحس<sup>(5)</sup>:

نشأت فكرة قيام المشروع باسمه الأول (المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس)<sup>(6)</sup> في نهاية الثمانينات من القرن العشرين بعد أن أعد البروفيسور علي عثمان محمد صالح عدد من الأوراق المتتالية لتكون الإطار العلمي والعملي والميداني والنظري للمشروع. وهي كالآتي:

- أ. الورقة الأولى: خطة المشروع: وشملت المعلومات المعروفة عن آثار المنطقة من الأبحاث والدراسات السابقة، كما شملت تفاصيل خطة المشروع مصحوبة بعدد كبير من الخرائط والصور الفوتوغرافية.
- ب. الورقة الثانية: بعنوان الآثار والمجتمع.
- ج. الورقة الثالثة: بعنوان المذكرة التفسيرية: وتناولت - بالإضافة إلى ما ورد في الورقة الثانية - نوايا الأثريين عند المشروع في تأسيس عمل بحثي ما. وقد قدمت هذه المذكرة لأعضاء فريق العمل الدائمين وغير الدائمين ولجموعة من العلماء والمهتمين.
- د. الورقة الرابعة: كانت بحث بعنوان (علم الآثار الوطني في السودان): وهو عبارة عن تأطير نظري شامل للمشروع ولأهدافه ومهامه. وقد الحق بهذا البحث مذكرة المشروع الأولى والمذكرة التفسيرية كملحق أول وملحق ثان. وقد أعد هذا البحث بغرض عرضه على أساتذة وعلماء الآثار عامة، وعلماء الآثار السودانية خاصة للمناقشة والتنقيح وإثراء البحث الذي تبني منهج العلوم المتداخلة وهي علم الآثار، علم

اللغة، علم الفلكور، علوم البيئة وعلم الاجتماع. وفعلا قدم البحث للمناقشة ضمن أعمال المؤتمر السابع للجمعية العالمية للدراسات النوبية الذي انعقد في جنيف - بسويسرا في الفترة من الثالث وحتى الثامن من سبتمبر عام 1990م. وقد تم نشر هذا البحث فيما بعد ضمن أعمال ذلك المؤتمر.

هـ. الورقة الخامسة: المذكرة الموجزة والتي كتبت بعد الموسم الأول وتناولت أهمية الزمن الذي بدأ فيه العمل. كما تضمنت المفهوم الوطني للمشروع باعتباره مثالا حيا لعلم آثار وطني يلبي حاجيات المجتمع السوداني مع تقيده والتزامه بقوانين علم الآثار العام. وقد ضم المشروع كل منطقة المحس المعلومة لخريطة المشروع، كما اضيف التنقيب لمجالات عمل المشروع خاصة بعد ان اصبحت المواقع الأثرية مهددة بالدرجة الاولى بقيام خزان كجبار. واصبح المشروع مشتركاً بين جامعة الخرطوم والمعهد البريطاني بشرق افريقيا واللجنة العليا لتعويض وتوطين المتأثرين بمشروع خزان كجبار.

يعتبر المشروع بهذا الفهم برنامجاً متعدد العلوم يشتمل على البحوث الأثرية والتاريخية واللغوية والبيئية والفلكلورية ضمن دراسة اقليمية محددة الأهداف والمناهج. ويصب التركيز الأساسي في منقطة المحس والتي تعتبر حدا (Zone) ثقافيا ولغويا منذ الفترة الوسيطة، ان لم يكن اقدم من ذلك. ويكتسب هذا الاقليم أهميته باحتفاظه للعديد من عناصر الاستيطان التاريخي والكثير مما يمكن النظر اليه كأشكال تقليدية للثقافة النوبية في بيئة ناطقة بالنوبية. يعتبر مشروع المسح الأثري والتراثي لمنطقة المحس عبارة عن برنامج أبحاث متكامل يشتمل على العديد من أفرع العلوم الإنسانية والتي من أهمها:

- الدراسات الأثرية
- الأبحاث التاريخية
- الدراسات البيئية
- البحث اللغوي وتسجيل وتحليل أسماء الاماكن
- البحوث والدراسات الفلكلورية

أعتمد العمل الحقلية للمشروع علي تصميم استمارات مختلفة للرصد والتحليل، حيث عنيت أولى الإستمارات بالاستكشاف، وعنيت الثانية بالتسجيل، بينما خصصت الثالثة للمسح، وعرفت الرابعة بالدراسة، كما تضمن العمل ما

يعرف بالإستمارة الشاملة التي احتوت كذلك على التعريف بالباحث. وقد نتج هذه التقسيم وفقاً لظروف المنطقة المعينة وطبيعتها، وقد شكلت لاحقاً المادة العلمية المجموعة بتلك الاستمارات مادة الدراسة الرئيسية للمشروع والتي تم نشرها في مجلد ضخم بعنوان: «The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan» عام 2012م بالاشتراك مع ديفيد ادواردز ومجموعة من الباحثين الوطنيين.

من نتائج العمل الميداني لمشروع المسح الأثري والتراثي بمنطقة المحس:

## 1. المسح الأثري:

هدف المسح الأثري لمنطقة المحس لدراسة التاريخ الاستيطاني الطويل بالمنطقة واكمال استكشاف المواقع الأثرية، ويتضمن ذلك اعمال المسح والحفريات الاختبارية للمواقع الرئيسية بصورة أكثر تفصيلاً وعلى وجه الخصوص تلك التي يشكل قيام الخزان تهديداً لها. وقد كانت الأولوية الرئيسية في هذا المسح هي جمع المعلومات الجديدة في شكل قائمة بالمواقع من خلال ستة مراحل متسلسلة من المسح وهي:

1. تحديد الموضع الجغرافي للمواقع الأثرية من خلال النصوص المسجلة والمصادر الأخرى كالروايات الشفاهية.
  2. استكشاف أولى للتحقق من المواقع المعروفة وتحديد المواقع الجديدة.
  3. القيام بمسوحات منظمة ومكثفة لتحديد أكبر عدد من المواقع الأثرية لتغطية كل المنطقة المقررة للمسح والتنقيب.
  4. تعريف وتصنيف وتسجيل المواقع.
  5. القيام بمسوحات محددة لمناطق مختارة من خلال مسح منظم بالأرجل، مع التركيز على المواقع الهامة أو المهددة.
  6. القيام بمسح كامل لمواقع المناطق المختارة يشتمل على القياس الشامل للموقع، مع امكانية القيام بحفريات اختبارية.
- وقد شمل العملي الكلي للمشروع علسبعة مواسم آثرية تمثلت أبرز نتائجها في الآتي:

## 1. الموسم الاول (6 مارس – 6 ابريل 1990م):

أكمل المشروع خلال هذا الموسم الاستكشاف الأولى للضفة الغربية للشلال الثالث من حنك حتى كجبار، وتم تسجيل 52 موقعا تتدرج من

فترات ما قبل التاريخ حتى القرن التاسع عشر. كما تم تسجيل سبعة مواقع أخرى على الحافة الشمالية لجزيرة اردوان.

واستطاع فريق العمل الأثاري خلال هذا الموسم ان يجري دراسات تحليلية جامعة ومباشرة لثلاثة مواقع كبيرة وممتدة هي:

1. كسنفركي من مواقع الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.
2. فقيرنفتي من مواقع الفترة الوسيطة.
3. جوقل وهي قرية تعود للفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة.

## 2. الموسم الثاني (25 نوفمبر – 30 ديسمبر 1991م):

تم التخطيط في هذا الموسم للقيام بعمل مماثل للموسم الأول في الضفة الشرقية وداخل جزر الشلال ومد المسح شمالاً حتى جبل سيبي - دلغو. ولبعض الظروف ثم اكمال الاستكشاف الاولي حتى مشكيلة - فريق. كما تم تحديد 120 موقعا وتسجيلها وتوثيقها حتى المرحلة الرابعة من المراحل الموضوعية لبرنامج المشروع.

واستطاع فريق العمل الأثاري خلال هذا الموسم ان يجري دراسات تحليلية جامعة ومباشرة لأربعة مواقع رئيسية:

1. طمبلنتود في جزيرة تمبس وهو موقع اسلامي.
2. دابكي في جزيرة دابكي وهو موقع فرعوني مسيحي اسلامي.
3. المدينة المروية القديمة في موقع كدرمة.
4. مقابر الملكة الحديثة بمنطقة تمبس.

بعد هذين الموسمين توقف المشروع نتيجة للظروف التي طالت مدير المشروع البروفيسور علي عثمان منذ بداية يونيو 1992م. وتوقف بذلك المشروع وتعطل العمل في اثنين من اهم المواقع بمنطقة المحس والمنطقة النوبية بشكل عام. حيث كان مخططا اكمال العمل الميداني في موقع تمبس بحيث تتم حفريات المقبرة التي بدا فيها العمل في الموسمين السابقين. كما تعطل المسح الاثري في المدينة المروية القديمة في موقع كدرمة وهي المدينة المروية الوحيدة التي وجدت في منطقة المحس ولا يوجد لها مثل في النوبة الوسطى او النوبة السفلى الا موقع كارنوق الذي تمت دراسته في بداية القرن العشرين في منطقة الشلال الاول.

كل ذلك لم يمنع تواصل العمل الدراسي والتخصصي الذي ادى الى نشر

كتابين عن المشروع، هما التقريرين عن الموسمين الاول و الثاني واللذان صدرا من مطبعة جامعة كمبردج البريطانية عامي 1992 و 1994 كما تم اعداد ارشيف كامل يحوي ملفات العمل والمقتنيات الأثرية والتقارير الأولية والصور ومذكرات أعضاء الفريق اضافة الى ملف كامل عن المشروع بالانترنت.

### 3. الموسم الثالث (يونيو - يوليو 1999):

توصل العمل الميداني في يونيو 1999 بموسم مسح وتنقيب قصير غطى 40 كلم من الضفة الغربية للذيل من سيسي وحتى بداية الشلال الثالث في تمبس. وقد تم تسجيل 20 موقعا جديدا اضافة الى مسح وزيارة تلك المواقع المسجلة في الموسمين السابقين وذلك لتأكيد مواضعها باستخدام جهاز التحديد العالمي للموضع الجغرافي (GPS) علاوة على ذلك تم حفر أحد مواقع العصر الحجري الحديث بمنطقة باري بالقرب من دفوي المعسكر الرئيسي لذلك الموسم.

### 4. الموسم الرابع (1 ابريل - 7 مايو 2000م):

انحصر العمل في هذا الموسم في جزيرة أردوان، حيث تم القيام بمسح علمي كامل للجزيرة اضافة الى استكشافات أولية على طول حدود الجزيرة تقريباً واكمال مسح منطقة شرق فاد. وخلال هذا الموسم تم تسجيل ثمانين موقعا جديدا و 10 مواقع أخرى خارج الجزيرة، وتم خلاله حفر مقابر مروية من الفترة المتأخرة كما تم حفر صوامع الغلال من عهد كرمة. وخلال هذا الموسم ايضا تمت اعادة زيارة اغلب مواقع الضفة الشرقية بين تمبس وكدرمة والتي تم تسجيلها في مواسم سابقة وذلك لمعرفة حالتها الراهنة وتأكيد موضعها الجغرافية باستخدام الـGPS، وفي ذات الوقت كان هناك مسح لغوي قائم بفريق من معهد الدراسات الاسيوية والافريقية جامعة الخرطوم برئاسة بروفيسور هيرمان بل (Herman Bell).

### 5. الموسم الخامس (يناير - مارس 2002م):

غطى موسم العام 2002 عددا من المناطق وقد تم تسجيل 45 موقعا وعددا آخر من المواقع بجزر سمت، مسل، وناب والتي لم يتم فيها القيام باي عمل اثارى من قبل. اضافة الى ذلك تم القيام بعمل آخر بالضفة الغربية يشمل اعادة مسح المناطق الواقعة شمالي حنك وتسجيل العديد من المواقع الهامة الأخرى. حيث تم تأكيد وجود أكثر من 50 موقعا على اثر

معلومات تم جمعها خلال عمل حقلني عن اسماء الاماكن عام 2001م. وعمل آخر يتضمن القياسات والرسوم والتخطيط في عدد من المواقع مثل نوري، فقيرنفتني وجبل وهابة. وخلال هذا الموسم تم تقييم شامل للآثار المعمارية في المناطق المذكورة في الفترة الوسيطة وما بعد الوسيطة. وانتهى العمل باكتشاف الآثار العثمانية في جزيرتي مسل وناب ومنطقة نوري، كما تم اجراء حفريات اختبارية في موقع كدا موسى بغرض الحصول على مواد عضوية لتحليلها للحصول على تاريخ للموقع باستخدام كربون 14 المشع.

## 6. الموسم السادس (اغسطس - سبتمبر 2003م):

تركز العمل الآثاري خلال هذا الموسم في منقطتين رئيسيتين هما المنطقة الممتدة من تينيكي الى تينيري في الضفة الغربية ومواقع الضفة المقابلة لها، ومنطقة سبو. في المنطقة الاولى تم التعرف على خصائص الموقعين الاثرين بسيسي وتينيكي وتقييمهما واجراء حفريات اولية بهما. وتم رسم وتسجيل مقبرة شيخ مرزوق بالضفة الشرقية جنوب دلغو. وقام فريق العمل بالقيام بتقييم شامل للآثار المعمارية الدينية والمدنية والعسكرية بالمنطقة خاصة الموقع العثماني بتينيري. وتم مسح وتقييم مواقع مملكة كوكا في كوكا وشده وسدله وقرقود.

في الجانب الآخر تم تركيز العمل المسحي بوديان منطقة سبو جنوب شلال كجبار، حيث تم اكتشاف العديد من المواقع الاثرية من فترة ما قبل التاريخ والعديد من الرسوم الصخرية على جبال وصخور المنطقة، وقد وجد ان هذه الرسوم الصخرية تربو على الالف رسم على جبال وهضاب ممتدة لحوالي اربعة كيلو مترات. كذلك تم التعرف على الحدود الشرقية للجزيرة التاريخية الثالثة في منطقة الشلال الثالث وهو فرع النيل القديم الذي كان يصب في النيل في قرية اسماكول بين فريق وجدي.

## 7. الموسم السابع (فبراير - مارس 2005م):

تم في هذا الموسم مراجعة بعض المواقع التي تم مسحها فيما قبل على طول الشلال الثالث واكتشاف أخرى خاصة على طول وادي فرجا. يعتبر هذا الموسم خاتماً لأعمال المشروع حيث تم التخطيط بعده لنشر كافة نتائج المسح الآثاري والحفريات الأولية وبالتالي فقد أنهى المشروع أحد أهم جوانب خطته العامة التي وضعت مسبقاً.

## ب. المسح اللغوي:

ركز البحث اللغوي على تسجيل وتحليل أسماء الأماكن في منقطة الدراسة مع التركيز على المواقع والأماكن المهددة بقيام سد كجبار. كما هدف العمل الى تأسيس أنماط معاصرة لاستعمال اللغة وعلاقتها بالانماط التاريخية حسب ما تشير اليها أسماء الأماكن. كما جرت محاولات للتعرف على خصائص أسماء الأماكن وربطها باصول مروية محتملة.

تركز العمل على الاسماء الجغرافية بقيادة البروفيسور هيرمان بيل والاستاذ محمد جلال هاشم. وهدف العمل على التاكيد بأقدمية أسماء الأماكن قدم الآثار نفسها وهي بالتالي تحتاج لنفس ما تحتاجه الآثار من الدراسة والتقصي.

## ج. البحوث الفلكلورية ودراسات الانساب:

مثلت دراسات الانساب حقلا مهما للدراسة، سواء كان ذلك فيما يتعلق بدراسات الطوبونيميا (دراسة اسماء المواقع الجغرافية واصلها Toponymy) او اشكال الدليل الأخرى للمستوطنات. وقضايا اكثر تحديدا تتضمن تاثير المساهمات الاسلامية الاولى والعثمانية والتاثيرات الأخرى على تطور السلالات النوبية الحديثة. وتم في هذا المسح تسجيل التواريخ الخصوصية للأفراد ذوي الحرف مثل الخزافين، والحدادين والمراكبية. كما وضع في الاعتبار دراسة التقاليد المرتبطة بمواقع محددة بما في ذلك مواقع الآثار تحت مسمى (فلكلور المواقع الأثرية) ومسمى آخر هو (ثقافة الموت). وتضمن هذا الجانب كذلك دراسة الطرق الصوفية في منطقة المحس، شيوخها وقبابها المنتشرة في المنطقة كلها ويمتد تاريخ بعضها الى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين.

## ج. الدراسة البيئية:

يتميز الاقليم بخاصية هامة وهي بقاء مواد اثارية عضوية عديدة لفترة طويلة من الزمن بسبب المناخ الجاف الذي يساعد على الحفاظ على هذا النوع من المواد الأثرية. وبذلك تمكن المشروع من اجراء دراسات عن النباتات القديمة خاصة مع احتمال وجود مواقع قد تعود لآلاف السنين. وقد تم عمل موسم واحد جاد فيما يتعلق بدراسة الحشرات والطيور والاسماك والانسجة البشرية وخلافها، ومن أبرز نتائج هذا العمل أنه مهد لتطوير مثل تلك الدراسات مستقبلا عن طريق تهيئة المجال لدارسين جدد

خاصة طلاب الدراسات العليا بقسم الآثار، والتوصية بإنشاء معمل حديث بقسم الآثار لإجراء التحليلات المعملية الخاصة بالمواد الأثرية التي تم جمعها.

### مساهمة المشروع في تدريب طلاب قسم الآثار:

ساهم المشروع بصورة فاعلة في تدريب طلاب قسم الآثار، حيث أشرك المشروع في موسمه الأول طلاب المستوى الخامس للعام الأكاديمي 1989-1990م، وفي الموسم الثاني اشرك المشروع طلاب المستوى الخامس كما نفذ المشروع الاكاديمي 1999-2000م، وطلاب المستويين الثالث والرابع للعام الاكاديمي 2002-2003م. وقد تم اشراك الطلاب في الاساس للتدريب على مسئولية العمل الآثاري البحثي والانقاضي اولا وتدريبهم على انواعه ثانيا. كما استحدث قسم الآثار مقرر (العمل الميداني المتقدم) لطلاب المستوى الرابع ومقرر ادارة المصادر الثقافية والآثرية لطلاب المستوى الخامس. وذلك للمشاركة في اعمال القسم الميدانية البحثية الدائمة ومن ضمنها مشروع المحس الآثاري.

### مساهمة المشروع في تدريب طلاب الدراسات العليا:

هنالك عدد مقدر من اساتذة الآثار بالجامعات السودانية المختلفة الذين اعدوا رسالاتهم لدرجة الماجستير و/ او الدكتوراه في اطار اعمال ونتائج مشروع المحس الآثاري وهم كالاتي:

الاسم	الجهة	الدرجة
يحي فضل طاهر	جامعة الخرطوم	دكتوراة
أمل حسن قسم الله	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
أمل عوض مختار	الهيئة العامة للآثار والمتاحف	ماجستير
عبد الرحمن إبراهيم سعيد	جامعة الخرطوم	ماجستير / دكتوراة
رحاب خليل بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير

الاسم	الجهة	الدرجة
رحاب شمبول مصعب	جامعة وادي النيل	ماجستير / دكتوراة
سارة عبد المنعم	جامعة الخرطوم	ماجستير
سعاد عثمان بابكر	خاص	ماجستير
ناهد عبد الليطف	جامعة بحري	ماجستير / دكتوراة
محمد أحمد عبد المجيد	جامعة وادي النيل	ماجستير / دكتوراة
يوسف العبيد	خاص	ماجستير
سناء محمد أحمد الابطل	جامعة دنقلا	ماجستير
أمل عمر أبو زيد	جامعة أمدرمان الأهلية	دكتوراة
أزهري مصطفى صادق	جامعة الخرطوم	دكتوراة
منال محمد عثمان	معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية جامعة الخرطوم	ماجستير
عبد المنعم أحمد عبد الله	جامعة شندي	ماجستير
محمد البدرى سليمان	جامعة الخرطوم	ماجستير / دكتوراة
عبير علي عمر	جامعة النيلين	ماجستير
مني عابدين	خاص	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	جامعة الخرطوم	دكتوراة
رباب عبد الرحمن الوسيلة	جامعة الزعيم الأزهرى	دكتوراة

## الاكتشافات الجديدة في نتائج المشروع:

تعتبر بعض نتائج هذا المشروع اكتشافات جديدة اضافت الى معرفتنا لتاريخ المنطقة الثقافي ابعادا جديدة بل انها فسرت واجابت على اسئلة كبيرة في تاريخ السودان القديم والحديث مما سيؤدي الى تغيرات رئيسة لفهمنا على الوجه الصحيح. ومن أبرز هذه الاكتشافات:

أ. رصد وتسجيل عدد مقدر من مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث واكتشاف مجاري أنهار قديمة تغطي المساحة شرق النيل وحتى خط السكة الحديد القديمة. وقد أدى هذا الاكتشاف الى معرفة ان منطقة الشلال الثالث كانت بها في الاساس جزيرتان عدا الجزر المعروفة حالياً. حيث كَوْن خور فرجه الذي يتفرع من النيل في شرق سمت ويصل النيل مرة أخرى في خور مسيدة جزيرة، كما كان يتفرع خوراً آخر من النيل ليتصل بخور سيون - فركي في الحدود بين جدي وسبو مكوناً جزيرة كبيرة زالت معالمها الان. كما ان خور اسمكول الحالي ربما كان يتصل بامتداد خور سيون - فركي ليكون شبه جزيرة. وفي خلال اربعة مواسم لمشروع المسح الآثاري لمنطقة المحس (1990-2002) تم الكشف عن 47 موقعا في فترة ما قبل التاريخ في منطقة الشلال تعود 17 منها لفترة العصر الحجري الحديث. وقد اثبتت الاكتشافات التي تمت على المواقع الاخيرة في المناطق الداخلية للشلال الثالث حول وادي فرجا، ومنقطة اشو وعلى الضفة الشرقية للنيل عند نهاية وادي فرجا انه يمكن التعامل مع مخلفات مواقع هذه الفترة كنطاق ثقافي متجانس يمكن تاييده من خلال المنهج الاقليمي المتداخل (Intra-Regional) ومن خلال اعادة تقييم للتطور الثقافي للعصر الجري الحديث في عموم منطقة النوبة، بالرغم من ان الاختلافات في بعض المواقع تتطلب دراسات اضافية مفصلة قد تكون مفيدة في تطوير تسلسل زمني لمواقع العصر الحجري الحديث بالشلال الثالث ومنطقة المحس عموماً.

ب. المستوطنة المصرية في تمبس وجزيرة دابكي والمقابر الملحقه بها لامراء مصريين ربما كانوا ولاة هذا الاقليم بعد ان هزمت جيوش المملكة المصرية الحديثة جيوش مملكة كوش الاولى اي مملكة كرمة واحرقت المدينة. ولم تكن توجد اية دلائل لاستيطان مصري في هذا الاقليم بعد

كرمة، بل ذهب العلماء الى القول ان جيوش المملكة المصرية الحديثة قد تراجعت الى مصر بعد ان فتحت الاقليم للتجارة. وقد تم تحويل هذا الجزء من المشروع لجامعة كلفورنيا الامريكية بالتوافق مع الهيئة القومية للآثار والمتاحف التي تصدر رخصة العمل الآثاري في كل انحاء السودان. ومازال فريقها يعمل ويزيد اضاءات كثيرة على اكتشافات مشروع المحس في تمبس بقيادة بروفيسور استيوارت تايسون اثميث وبروفيسور بروس وليامس اللذان يعتبران من أبرز علماء علم المصريات الحاليين في العالم.

ت. الاكتشاف المذهل بالوجود الاسلامي الفاعل في اطار مملكة دنقلا المسيحية ابتداءً من القرن التاسع الميلادي في صورة امارات اسلامية متزامنة مع المملكة المسيحية، حيث وجدت الدلائل الآثارية الدامغة لمملكة السكراب في منطقة دلغو وسدلة من القرن التاسع الميلادي في شكل قباب ومقابر فريدة في الشكل الخارجي، كما وجدت دلائل مماثلة لوجود الطريقة الركابية حاكمة ازاء أخرى من جنوب المحس بالتركيز على جزيرتي ناب وسمت من القرن العاشر وحتى القرن السادس عشر، حيث ضمت جيوش السلطان العثماني كل منطقة المحس الى اقاليم الامبراطورية العثمانية في 1584 ميلادية واختارت جزيرة مسل لقيادتها العسكرية حيث بنت فيها قلعة عسكرية ضخمة على الطراز التركي، كما اختارت نوري لتكون مقرا للقيادة المدنية للولاية (ايلات المحس) حيث اكتشفنا هناك مقر الحاكم، وهذا الاكتشاف يثير اسئلة كثيرة حول نظرية دخول الاسلام التاريخية حيث انه من الواضح ان الاسلام دخل السودان بمعاهدة البقط ومعها وليس في القرن الرابع عشر كما يقول المؤرخين.

ث. يعتبر اكتشاف آثار الفترة العثمانية في منطقة الدراسة اضافة جديدة وذات اثر بعيد لفهم تاريخ السودان في العصر الوسيط ولفهم الشخصية السودانية الحالية التي تشكلت على التراث الاسلامي الاصلاحى العثماني في الشمال والتراث الاسلامي الصوفي المحسي في القرون من التاسع وحتى السادس عشر، والفونجي في القرون من السادس عشر وحتى التاسع عشر الميلادي في وسط السودان. كما القى هذا الإكتشاف الضوء على سبب الهجرة المحسية الكبيرة الى

أواسط بلاد السودان منذ حوالي 1600م وهي الهجرة التي شملت الشيوخ الكبار من أمثال الشيخ ادريس ود الارباب، والشيخ ارباب العقائد والشيخ حمد والشيخ خوجلي والشيخ الامام الذين كونوا جزءا هاما وكبيرا من التراث الصوفي في مملكة العنج وفي اواسط السودان.

كما فسر هذا الاكتشاف ظهور الخلاوي القرانية - الفقهية في ارض المحس منذ بداية القرن السابع عشر وانحسار المد الصوفي فيه تبعا لذلك. فقد اضعف العثمانيون الاسلام الصوفي في المحس وهم الاسلاميون السنيون الاصلاحيون، واتوا لديار المحس بعدد من الفقهاء والقضاة من اسطنبول ومن الاراضي المقدسة وافتتحوا لهم الخلاوي القرانية - الفقهية.

## (2) المشروع الوطني الأثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس<sup>(7)</sup>:

يعتبر مشروع الشلال الخامس مشروع ميداني بحثي شامل لآثار المنطقة وبيئتها وانسانها وثقافتها التقليدية بغرض انشاء نموذج دراسي علمي حديث في الدراسات الانسانية والاجتماعية السودانية يضيء تاريخ منطقة مهمة جدا في منطقة وادي النيل الأول الأوسط لعبت دورا رئيسيا في صياغة تاريخ وثقافة وهوية الأمة السودانية. وقد تم بناء المشروع ليصبح مشروعاً ميدانياً ليستوعب تدريب طلاب الآثار والعلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى على أحدث التطورات العلمية العالمية والإقليمية والمحلية. سعى المشروع فوق هذين الهدفين الكبيرين الى تنمية مجتمعات منطقة الدراسة تنمية مستدامة حيث أنها منطقة غنية جدا بإمكانيات تطوير الصناعات المحلية مثل صناعة صيد السمك وصناعات زراعة وتسويق النباتات الطبية وغيرها، ولما تتميز به المنطقة من امكانيات سياحية هائلة في مجال السياحة الطبيعية، سياحة النهر، والسياحة الثقافية والآثرية، وقد هدف المشروع في ذلك الى تهيئة المنطقة لقيام سياحة متطورة ومربحة ومتصالحة مع البيئة.

بناء على ذلك تم بناء المشروع من أربعة فروع أساسية، وهي:

(أ) فرع الدراسات الآثرية

(ب) فرع دراسات البيئة

- (ت) فرع دراسات الثقافات التقليدية  
(ث) فرع دراسات السياحة والتنمية المستدامة  
على أن يربط بين هذه الفروع الآتي:
1. مدير واحد للمشروع تتوفر فيه القدرة العلمية العالية والخدمة الطويلة والتجويد المشهود في مجالات المشروع والعمل الميداني.
  2. المنهجية العلمية القائمة على منحى تداخل العلوم (interdisciplinary)
  3. الطرق والوسائل والتقنيات العلمية التي يتم اختيارها للدراسات.
  4. العمل الميداني الموحد الذي تتخلله المحاضرات التوضيحية والتفسيرية لمدير المشروع والمديرين الميدانيين المشرفين.
  5. لجنة إدارية وتنسيقية مكونة من رؤساء الوحدات المعنية بالمشروع في المؤسسات المكونة له والتي تضم:
    - جامعة وادي النيل، والتي يمثلها رئيس مجلس مركز دراسات وأبحاث الآثار
    - جامعة الخرطوم، ويمثلها رئيس قسم الآثار
    - الهيئة القومية للآثار والمتاحف، ويمثلها أمين أمانة الكشف الأثري.ذلك بالإضافة الى مدير المشروع ومستشاره.
  6. النشر الموحد الذي تعد مادته الفرق العلمية تحت اشراف مدير المشروع وتباشر لجنة الإدارة والتنسيق تنفيذه.
  7. الاتفاق الموحد على اختيار منطقة الإمتياز للمشروع كما تحدده قوانين الهيئة القومية للآثار والمتاحف وذلك بين لجنة الإدارة والتنسيق واللجنة العلمية.
  8. اختيار مقر دائم للمشروع. وقد تم الاتفاق في اللجنة العلمية على أن يكون المقر الدائم هو مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل حيث يعقد معسكر تجميع التقارير واعداها للنشر وحيث تحفظ كل المادة المتصلة بالمشروع.
  9. التنسيق التام بين أعمال اللجنة العلمية ولجنة الإدارة والتنسيق عن طريق مقررين يتم اختيارهما من أعضاء هيئة مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل ولجنة الإدارة والتنسيق.
  10. إجراء موسم عمل ميداني ابتدائي يجرى فيه استكشاف للجزء الجنوبي من منطقة الشلال الخامس.

أسفر المشروع عن تنفيذ مسح أثاري متكامل وتنقيبات أثرية نوعية للتعرف على آثار المنطقة وتوحيد الرؤى بين الفروع المختلفة المكونة للمشروع بإجراء دراسات أولية عن البيئة والثقافات التقليدية في المنطقة وعن إمكاناتها السياحية والتنموية ثم عقد معسكر موحد في مركز دراسات وأبحاث الآثار بجامعة وادي النيل لتجميع التقارير وتهيئتها للنشر.

وقد شمل العمل في الموسم الأول على الآتي:

أ. حفريات نوعية في أحد مواقع المقابر التلية.  
ب. حفريات نوعية في أحد مواقع الاستيطان لفترة ما قبل التاريخ، أي ما قبل 3000 ق. م.

ج. إجراء مسح أثاري علمي دقيق (Walking Survey) لكل مناطق الجزء الجنوبي من منطقة الشلال أي بين قرى فتوار في الجنوب وزمامة في الشمال وهي تضم الأودية الكبرى الآتية: وادي الجداد، وادي البقر، وادي الراداي، وادي السنقير، وادي أبو سدير، كما تضم امتداداتها في الصحراء بعداً عن النيل لمساحة 8 كلم.

د. إجراء مسح أثاري للجزر الكبرى بداية بجزيرة كرنى ثم جزيرة العشير ثم جزيرة المستريحة ثم الأخريات.

هـ. دراسات بيئية تشمل الأودية ومناطق العمران والنيل والجزائر والصحراء.

و. التعرف على الإمكانات السياحية للمنطقة بكل أنواعها.

ز. التعرف على الثقافات التقليدية في منطقة الدراسة بالتركيز على مناطق الجزر.

بنيت خطة العمل هذه على ضوء الأسئلة الإستراتيجية العامة المطروحة والتي كانت مدعاة لقيام هذا المشروع في الأصل. بجانب العديد من الأسئلة الاستراتيجية والتي كان من أبرزها:

أ. هل توجد آثار نباتية في منطقة الدراسة أم أن النظرية التي تقول أن حضارة مروى جاءت امتداداً لحضارة نبتة لا تقوم على أية أسس علمية والذي نحن بصدهه السودان بحضارتين قديمتين شمالية نوبية وجنوبية مروية؟

ب. هل من سبيل لمحاولة فك رموز اللغة المروية من التاريخ اللغوي لمنطقة الدراسة، وكيف نستفيد من الواقع اللغوي المعقد الذي تتسم به هذه المنطقة في مسألة اللغة المروية؟

ت. ما هي آثار ونتائج حملة الملك إزانا (عيزانا) ملك أكسوم على مملكة مروى في منتصف القرن الرابع الميلادي. وهل استوعبت هذه المنطقة بعضاً من القبائل النوبية التي حاربها إزانا وطاردهما كما يقول على نهر عطبرة حتى وصل النيل، ثم زحف إلى مدينة مروى الملكية منتصراً؟.

ث. ما هي آثار ونتائج الوجود المكثف لقبائل بني ربيعة بقيادة زعيمها عبد الله العمري في الصحراء الشرقية وعلى منابع خور كرسكو منذ منتصف القرن التاسع الميلادي، على منطقة الدراسة. مع العلم أن الجزء الشمالي من منطقة الدراسة كان وما زال هو أقرب النقاط على النيل لجلب ماء الشرب لمنطقة الذهب حيث نشطت قبائل بني ربيعة. ألا توجد أية تأثيرات لهذه الأنشطة التي لا شك أنها وصلت النيل وربما قطعتة إلى الغرب حيث مناطق الذهب في وادي السنقر والحجاجية وغيرها؟.

ج. منطقة الدراسة كانت جزءاً من مملكة علوة المسيحية في العصر الوسيط (500 - 1500م). هل كانت المنطقة منطقة وسطى بين علوة والمقرة أم كانت مملكة قائمة بذاتها لفترات من ذلك التاريخ الطويل، وما هو الدور الذي لعبته المنطقة في الملكتين؟.

ثم استقبلت المنطقة هجرة في نهايات العصر الوسيط، هي هجرات مجموعات العنج. من هم، ومن أين جاءوا؟ وما تأثيرهم التاريخي، الثقافي، الاجتماعي، الديني، واللغوي، على منطقة الدراسة وعلى كل مملكة علوة. بجانب ذلك بني الموسم الأول للإجابة على بعض الأسئلة الرئيسية والتي ربما تستمر مطروحة لموسم آخر أو موسمين قادمين فهي:

أ. طبيعة العلاقة بين الأودية الكبرى والنيل على كل المستويات.  
ب. استمرارية العمران أو عدمه في منطقة الدراسة عبر ما قبل التاريخ والتاريخ القديم والتاريخ الوسيط وما بعد الوسيط.  
وقد تمثلت نتائج هذا العمل في الآتي:

أ. إجراء المسح الأثري في كل المنطقة المختارة (320 كلم<sup>2</sup>) واكتشاف وتسجيل ودراسة 153 موقعاً تمثل كل الفترة الممتدة من بداية العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية الأولى لما قبل سيطرة الفونج في المنطقة.

- ب. إجراء مسح أثاري لجزيرة كرنى.
- ج. إجراء حفريتان نوعيتان، الأولى في الموقع رقم (1) بالقرب من وادي الخلفية جنوب الضيقة، والثانية إلى الجنوب الشرقي من وادي أبو حراز.
- د. وقد أفادت الحفريتان إفادات علمية غاية في الجودة والأهمية مما سيؤدي إلى مراجعة كثير مما كتبه الأولون عن هذه المنطقة بالأخص وعن التسلسل التاريخي للسودان في العموم.

### الثقافات التقليدية:

اقتصرت الموسم الأول على التعرف على المنطقة وسكانها والأنماط الثقافية السائدة فيها وتراثها الشفاهي والممارسات الحياتية التقليدية التي تمارسها المجموعات السكانية التي تحدها جغرافياً الضفة الغربية للنهر الممتدة من الجول إلى زمامة وشرقاً من مبيريكة إلى الكربة، مجموعة الجزر من فتوار إلى العشير. والتي يمكن اعتبارها وحدة ثقافية ذات سمات وخصائص متشابهة. وبناء على ذلك تم رصد العديد من الجوانب الثقافية بالمنطقة والتي شملت على الأحاجي والحكايات الشعبية، القصص والأساطير حول المناطق الأثرية، الشعر التقليدي والغنائي، الروايات الشفاهية التاريخية، مزارات الأولياء والصالحين، العادات والتقاليد، الألعاب الشعبية، بقايا اللغات القديمة، والثقافة المادية، بالإضافة الى برنامج التوظيف السياحي لمنطقة الشلال الخامس والذي ضم العديد من المحاور مثل الدعاية والإعلان، التنمية المستدامة، البرامج السياحية، . كذلك شملت الدراسة على اعداد تقرير مفصل عن جيولوجية وجغرافية منطقة الشلال الخامس.

### (3) مشروع آثار مروى الكبرى<sup>(8)</sup>:

كانت بداية مشروع دراسات مروى الكبرى بشكله الحالي حينما قررت جامعة الخرطوم عام 2000م تنشيط رخصتها للعمل الاثاري والحفريات والصيانة والترميم في مدينة مروى القديمة في أعقاب تصفية أعمال المشروع السوداني الألماني عام 1999م وتم تعيين البروفيسور علي عثمان محمد صالح مديراً جديداً للمشروع بقرار مجلس قسم الآثار ومجلس أبحاث كلية الآداب. وقد بدأ المشروع بإعداد إستراتيجية جديدة للعمل وفق أسئلة علمية جديدة كان أبرزها:

1. متى وكيف نشأت وتطورت مدينة مروى ؟
2. ماهي عوامل و مراحل نمو حضارة مروى إلى إمبراطورية ذات علاقات عالمية واسعة مع عالم البحر المتوسط؟.
3. كيف نتعرف على الشعب المروى و أين آثاره الدالة عليه؟
4. كيف ومتى ضعفت حضارة مروى؟
5. ماهي معالم الإستمرارية الثقافية في جزيرة مروى و منطقة الشلال الخامس عند ضعف قوة مروى و نشأة الممالك المسيحية فيه؟
6. ماهي العلاقة بين زوال قوة حضارة مروى وإنتشار الدين المسيحي فيها؟

على ضوء تلك التساؤلات أنشأ قسم الآثار جامعة الخرطوم مشروعاً بحثياً تحت مسمى «آثار مروى الكبرى- مشروع الضواحي الشمالية» ليضم بحوث طلاب الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة) والعمل الميداني في مروى الكبرى (جزيرة مروى)، والتي تنضوي تحتها الضهيرية، والكربة، والبطانة الشمالية. وقد تمت دعوة كافة المشاريع الأجنبية العاملة في هذه المناطق للمشاركة في المشروع أعلاه، وذلك للتخطيط أيضاً لإنشاء جمعية جديدة أو مجموعة، لتنظيم ورش عمل وسمنارات ومؤتمرات تحت هذا المشروع في إطار المؤتمر العالمي للدراسات المروية الذي ينعقد كل أربع سنوات.

عملت استراتيجية المشروع على تقسيم منطقة الدراسة الى العديد من الأجزاء وفقاً لمحتوياته من خصائص وآثار. وهي كالآتي:

1. المنطقة الأولى: تقع ما بين مروى القديمة وقَدو، وتميّزت بطبيعتها بوجود أكوام ترجع للعصور الحجرية، وقد استمرت الحفريات الاختبارية فيها لمدة خمسة مواسم. يشكّل موقع الصُور واحداً من أهم هذه المواقع، وهو موقع استيطان يرجع للفترات الوسيطة والمتأخرة من العصر الحجري الحديث، وقد ضم دفنات أطفال في جرار، وتجمُّع صناعات مشابهة لتلك في موقع الكدّادة وشق الدُود وقلعة شنّان بشندي.
2. المنطقة الثانية: تقع ما بين قَدو وجبل أم علي شرق خط السكة حديد، في المنطقة المرتفعة من وادي الدان ووادي عيَّش. تحتوي هذه المنطقة على المئات من مدافن العامة في مروى، وقد احتوى واحد من هذه التلال المرتفعة على واحد وخمسين قبراً تلياً من الحجارة

- السوداء، والذي أطلق عليه «المجموعه الأولى» وعرف بمسمى (AK) اختصاراً لاسم أقرب قرية من الموقع، وهي قرية العكامة. وقد تم إجراء ست حفريات اختبارية في هذه المجموعة من المدافن
3. المنطقة الثالثة: تقع بين قَدو وجبل أم علي غرب خط السكة حديد، وتعرف بـ«شِبِيلِيَّة المُشرع»، وتحتوي على ثلاثة أكوام مرتفعة أشارت الأدلة السطحية إلى أنها ربما كانت مستوطنات ترجع للفترات المبكرة، والكلاسيكية، والمتأخرة من عهد مروى.
4. المنطقة الرابعة: تضم موقع جبل أم علي، وهو موقع اسلامي يشتمل على جبانة كبيرة مع أربع قباب للشيخ حامد أبو عصاية وأبنائه.
5. المنطقة الخامسة: وتعرف بـ«جبل الضيقة»، وتعرف أيضاً بـ«آثار الفترة ما بعد مروى»، وتضم قلعة كبيرة في قمة جبل الضيقة، مطلة على النيل، إضافة الى مجموعات مختلفة من المباني الحجرية، وجبل آخر يضم أبراج مراقبة وكهف يحتوي على رسومات متعدده لفارس على حصان وجمال، إضافة إلى نجمة داوود.
6. تمتد المنطقة السادسة من الجزء الشمالي للضيقة بالقرب من جبل السناري (شمال قرية الضيقة)، وتضم المباني الأخرى أسفل جبل المزموم (حوالي 3 كلم من قرية الضيقة) والآثار المروية في قرية الكيتواب أسفل جبل أم بور (حوالي 13 كلم شمالي مروى القديمة).
7. أما المنطقة السابعة فتضم المطمر، وتحتوي على جبانة إسلامية ضخمة مع قبة فريدة للشيخ عمر النشيو. ولم تُضمَّن المنطقة السابعة في التقرير المفصل للمشروع.
- أسفرت الأعمال الميدانية لهذا المشروع عن العديد من النتائج المهمة التي تسهم في فهم جديد لبدايات ونهايات مملكة مروى وشعوبها إضافة الى الاستمرارية الثقافية بالمنطقة عبر العصور منذ العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية والتاريخ الحديث، ذلك بجانب تدريب وتأهيل الكوادر الوطنية من طلاب البكالوريوس والدراسات العليا بجامعة الخرطوم، والى الآن تم انجاز ست مواسم تدريبية لطلاب البكالوريوس بموقع وادي الدان، بجانب العديد من رسائل الدراسات العليا والتي شملت:

الاسم	الجهة	الدرجة
أحمد حامد نصر	جامعة شندي	ماجستير
مزمل سعد إبراهيم	خاص	ماجستير
محمد البدري سليمان بشير	جامعة الخرطوم	ماجستير
ياسر علي محمد تاي الله	خاص	ماجستير
صفاء مصطفى نجم الدين	خاص	ماجستير
فتح الرحمن محمد عبدالرحيم	وزارة الثقافة	ماجستير
نهى عبدالحافظ عبدالعزيز	جامعة شندي	ماجستير

## خاتمة:

وفقا لما تم مناقشته في هذه الورقة تبين لنا الدور الكبير الذي لعبته الأبحاث الميدانية للمدرسة الوطنية في آثار السودان، وهي ضرورة قصوى فرضها الوضع العام للسودان، الذي يحتوي على العديد من التفاعلات الفلسفية والثقافية من حيث الاختلاف الإثني والثقافي خلال الحقب التاريخية المختلفة، والتي يشكل مجملها ما يعرف بالثقافة السودانية.

عنى علم الآثار الوطني بدراسة التنوع الثقافي في السودان عبر العصور وفق رؤية محلية خالصة، وقد أسهمت البعثات الأثرية المختلفة في السودان في اكتشاف العديد من المواقع التي ترجع الى فترات مختلفة والتي كان لها اسهام كبير في معرفة الخصائص السياسية والتاريخية والثقافية للسودان خلال العصور، وبالرغم من ذلك، الا أن هناك العديد من جوانب القصور التي شابت تلك الأعمال خاصة في جوانب التفسير والتركيب الثقافي العام، وقد تبين أنه من الصعب وجود تفاسير صحيحة للحضارات السودانية باستخدام المناهج الفكيية للمدارس الأجنبية، لذلك كان لابد من علم آثار وطني يفسر ويجيب على كثير من الأسئلة المطروحة، خاصة فيما يتعلق بالجوانب الثقافية

للشخصية السودانية التي جسدتها الآثار. عليه فان علم الآثار الوطني يعني بدراسة الثقافة السودانية بكل مراحلها في الفترات التاريخية المختلفة من منظور محلي وهي المدرسة التي نادها بها وأسس لها البروفيسور علي عثمان محمد صالح.

## المصادر والمراجع:

- (1)البدري، محمد سليمان، و عثمان، علي محمد صالح. 2021. موقف الدراسات في آثار مروى القديمة ونتائجها الأولى، ورقة منشورة بمجلة الدراسات السودانية، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة الخرطوم، مجلد رقم 25. ص 39-65.
- (2)Edwards, D. Osman, A. Tahir, Y. Sadig, A. and Soghayroun, I., On a Nubian frontier: landscapes of Settlement on the Third Cataract of the Nile, Sudan, in Azania: Archaeological Research in Africa, Vol. 47:4, 2012, pp450487-
- (3)Osman, A. 1981, Archaeology in the Sudan. In into1980s. In Donald. I, Shinnie, P. and Williams, D. (eds), proceedings of the Elenevth Annual Conference of the Canadian Association, for African Study blished by Tantalus Research Ltd. Vancouver Canada, pp5272-
- (4)Osman, A. 1993, Nationalist Archaeology the Case of the Sudan. In Bonnet, C. (ed), Etudes Nubiennes, vol.1, pp225236-. Geneves, Switzerland.
- (5)Osman, A., and Edwards, D. The Archaeology of a Nubian Frontier, Survey on the Nile Third Cataract, Sudan. Bristol, 2012.
- (6)أجيز المشروع من مجلس قسم الآثار في اجتماعه بالنمرة ج خ / آداب / أ ث 6 بتاريخ 10 يناير 1990، كما أجيز من مجلس أبحاث كلية الآداب في اجتماعه الثاني للعام الدراسي 1989-1990 بتاريخ 18 يناير 1990. وقد صدر تصريح مؤقت من الإدارة العامة للآثار والمتاحف للعمل للموسم الأول بتاريخ 7 فبراير 1990 بالنمرة و ت أ / 3 / ج / 1982 / سري، ثم صدرت رخصة العمل بتاريخ 20 / 11 / 1991 (ملحق رقم 3) بعد أن أكدت كلية الآداب التزامها بالمشروع بتوقيع عميدها الجديد في ذلك الحين.

- (7) علي عثمان محمد صالح، المشروع الوطني الآثاري المشترك لدراسة منطقة الشلال الخامس، دار الأنوار للطباعة والنشر 2001م.
- (8) علي عثمان محمد صالح، التقرير النهائي للمسح الآثاري لمشروع قسم الآثار في ضواحي مروى الشمالية 2004-2016م. جامعة الخرطوم\_كلية الآداب\_قسم الآثار.